تفسير ابن كثير

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه } أي وأتباعه الذين آمنوا معه { إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم } أي تبرأنا منكم { ومما تعبدون من دون ا كفرنا بكم } أي بدينكم وطريقكم { وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا } يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الان بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم { حتى تؤمنوا با وحده } أي إلى أن توحدوا ا فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد وقوله تعالى : { إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك } أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لابائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل ا D { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم } .

وقال تعالى في هذه الاية : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون ا كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا با وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من ا من شيء } أي ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد .

ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى ا وتضرعوا إليه فقالوا { ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير } أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير أي المعاد في الدار الاخرة { ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا } قال مجاهد : معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا وكذا قال الضحاك وقال قتادة : لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله تعالى : { واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم } أي واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك { إنك أنت العزيز } أي الذي لا يضام من لاذ بجنابك { الحكيم

} في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى : { لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو ا واليوم الآخر } وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هي الأولى بعينها وقوله تعالى : { لمن كان يرجو ا واليوم الآخر } تهييج إلى ذلك لكل مؤمن با والمعاد وقوله تعالى : { ومن يتول } أي عما أمر ا به { فإن ا هو الغني الحميد } كقوله تعالى : { إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن ا لغني حميد } وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الغني الذي قد كمل في غناه وهو ا هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان ا الواحد القهار الحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه